الحوار الديني والتعارف الإنساني
بين الأديان الكتابية
على أساس قاعدة العمل الاجتماعي

الدكتور: الحسن حما

المملكة المغربيَّة

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى البحث عن بعض تجليات النزعة الدينية في السلوك الاجتماعي لأهل الأديان، وفهم مداخل اسهام العقائد ووظيفتها في البناء الاجتماعي (Social Structure)، أو العكس، النظر في خطورتها وأثارها السلبية في قيام وبناء المجتمعات المعاصرة، حيث تجتهد الأديان جميعاً في استخراج خلاصة تصوّراتها الماورائية واللاهوتية والأنتروبولوجية والاجتماعية والسياسية التشريعية. لهذا يعتقد كثير من أهل الأديان أن الإمساك بجوهر الدين يُتيح التفطن للفرادة التي ينعقد عليها التصور الديني الأشمل للكون وللوجود وللتاريخ.

وتبتغي هذه الدراسة ابراز جانبٍ من أسس الحوار الديني والتعارف الإنساني الممكنة بين الأديان الكتابية (اليهودية والمسيحية والإسلام)، من خلال البحث في علاقة الإيمان بالدين وتحليل وظيفتهما في السلوك الاجتماعي للإنسان المعاصر، مع التحليل النظري لأسس العلاقة بين الإيمان والدين.

الكلمات المفتاحية: الدين – البناء الاجتماعي– التعارف الإنساني

Abstract

The purpose of this study is to investigate some aspects of the religious tendency in the social behavior of the divine religions's followers, and to understand the approaches in the contribution of the beliefs and their function in social structure, or vice versa, to analyse its severity and negative effects in the rise and build of contemporary societies, where all religions endeavor to extract the synopsis of their metaphysical, theological, anthropological, social, political and legislative perceptions. This is why many people of divine religions believe that grasping the essence of religion allows the discernment of the uniqueness of the broader religious conception of the universe, existence and history.

The study seeks also to highlight a side of the foundations of religious dialogue and human acquaintance possible between divine religions (Judaism, Christianity and Islam), by examining the relationship between the faith and religion and analyzing their function in the social behavior of modern man, with theoretical analysis of the the relationship's foundations between faith and religion.

key words: Religion - social construction - human acquaintance

مقدمة

تتجه المفاهيم الدينية المؤطرة لمفهوم "الإيمان" في الخطاب الديني للأديان الكتابية إلى بلورته في تعبيرات جماعية أو فردية عبر مفاهيم وشعائر وطقوس*، سواء الإسلامي القائم على "الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان"(1)، أو المسيحي الذي يُعتبر "الإيمان" "باباً يفتحه الله للبشر لكي يدخلوا في مسيرة تصميمه الخلاصيّ"(2). وحتى الإيمان اليهودي الذي يتأسس على جملة خصال وفضائل يحتل فيها الإيمان نقطة ارتكاز لعلاقة الإنسان مع الله. فكلها صيغ مفهومية يتحدد من خلالها الإيمان في الأديان الكتابية، وينتظم وفقها الجماعة المؤمنة لتعيش حياة تهدف من ورائها الأديان إلى ترشيد حركة الإنسان في الواقع الاجتماعي، وتوجيه سلوكه وفق غاية الله ومقاصده. التي أصبحت ملحة وضرورية نتيجة ما يشهده الواقع المعاصر من تحولات ومتغيرات أثرت على نسقه الثقافي والاجتماعي وفي نسيج العلاقات الإنسانية، وأصبح الإنسان يوم بعد يوم في حاجة إلى العودة إلى الدين والإيمان والبحث عن أطر مرجعية لفكره ومسلكياته النظرية والفلسفية القادرة على مواكبة تحديات وإفرازات الحضارة المعاصرة المثقلة بالأبعاد المادية وتراجع القيم الإنسانية.

إن النتيجة الحتمية التي يعبر عنها الواقع المعاصر؛ اتساع هوة الصراع والاختلاف بين أبناء المعتقد والدين الواحد –فما بالك إذا اتجهنا صوب أتباع ديانات مختلفة–؛ ولا يمكن لأحد من أهل الأديان أن يقرر هذا الوضع، أو يعتبره من أصول الأديان الكتابية؛ إنما هو من تبعات وإشكالات الواقع، من هنا تظهر الحاجة الملحة إلى العودة إلى الحوار الديني بين الأديان الكتابية (السماوية) والمشترك الإنساني، نظراً إلى اتساع دائرة المشترك بين هذه الأديان، وكذلك لأن هذه الأديان تحمل تصوراً ورؤية للعالم

*الطقوس هي كل الاحتفالات المرتبطة بمعتقدات متصلة بالماورائي أكثر من دلالاتها على مجرد عادات اجتماعية وهي أنماط من العمل المتكرر في نوع من الثبات. Jean Cazeneuve, Sociologie du rite, p 13.

(1) الجرجاني، "**التعريفات**" تحقيق عبد المنعم الخفنى، دار الرشاد، – القاهرة–، ص 50

(2) "**موسوعة الأديان في العالم – المسيحية**" دار كربيس انترناشيونال 2001/2000م، ص 212.

وللإنسان، قد تخرج الحضارة المعاصرة من أزمتها، والإسهام المعرفي والعلمي في تعزيز أسس الحوار الديني والارتباط بالأديان الكتابية والإيمان بأهميتها في حركة الواقع والفعل الإنساني. أي أننا بحاجة إلى استعادة الحوار بين اللاهوت والعلم[1] ومن جهة ثانية نحن بحاجة إلى تجاوز ما دأبت عليه أبحاث الانثروبولوجيا الدينية الكلاسيكية من اختزال الأديان في عناصر ثلاثة: طبيعة الإيمان، وأشكال الطقوس، ومضامين الأساطير. لأن تلك المقاربة تبدو قاصرة عن الإلمام بروح الديانات الإبراهيمية وغير الإبراهيمية، منذ أن تبين لعلم الاجتماع الديني المعاصر، ما للكنائس والجماعات الدينية من دور فاعل في الأنشطة الاجتماعية والخدمات الطوعية والأعمال الخيرية، حيث تُمارس تلك الفعاليات باعتبارها ترجمة عملية للمفاهيم المفارقة، (...) لقد وجد علم الاجتماع نفسه مدفوعاً بالتنبه إلى آثار الاعتقادات والالتزامات الفردية، وكذلك التنبه إلى دور المؤسسات الدينية في مختلف قطاعات الحياة الاجتماعية الأخرى.[2]

من هنا نشأت الحاجة إلى الدراسة الاجتماعية للإيمان والدين، أي العمل على البحث عن بعض تجليات النزعة الدينية في السلوك الاجتماعي لأهل الأديان،[3] وفهم مداخل اسهام العقائد ووظيفتها في البناء الاجتماعي (Social Structure)[4]، أو

---

(1)Thom Sicking S .j, "**Foi Chrétienne et inculturation au Proche-Orient**" , Université Saint-Joseph, Jeita,Beyrouth, 1992, pp 94 .

(2) عز الدين عناية، "**الأديان الإبراهيمية قضايا الراهن**"، دار توبقال، البيضاء – المغرب-، ط1 سنة 2014م، ص 101. وأنظر كذلك دارن شِرْكات وآخرون، "**السّوق الدينية في الغرب**"، ترجمة عزالدين عناية، دار صفحات، دمشق، 2012، ص 25.

(3)جزء من هذا العمل قام به عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر في كتابه "**الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية**"، ترجمة محمد مقلد، مركز الانماء القومي، لبنان -بيروت-،حيث بحث بعض تجليات الروح البروتستانتية القديمة وبين الحضارة الرأسمالية الحديثة، من خلال البحث عن هذه التجليات في السمات الدينية الصرفة، لا في "مناهج العيش"، أنظر ص 21.

(4) يأخذ مفهوم «البناء الاجتماعي» (Social Structure) معاني متعددة في مجال الدرسات الاجتماعية والانثربولوجيا، وتنوعت تحديداته بين الباحثين، ويوضح هذا التنوع ما يتميز به المفهوم من عناية وأهمية في المجال الانثربولوجي والاجتماعي، وقد سبق «لعدد من المفكرين والعلماء أن تناولوا مفهوم

العكس، النظر في خطورتها وأثارها السلبية في قيام وبناء المجتمعات المعاصرة. ففي "خضم التواجه الحضاري الناشط في أرجاء المسكونة، اليوم تجتهد الأديان جميعاً في استخراج خلاصة تصوّراتها الماورائية واللاهوتية والأنتروبولوجية والاجتماعية والسياسية التشريعة. لهذا يعتقد كثير من أهل الأديان أن الإمساك بجوهر الدين يُتيح التفطن للفرادة التي ينعقد عليها التصور الديني الأشمل للكون وللوجود وللتاريخ، ويعين الإنسان على التمييز بين الأنظومات الدينيّة، ويسهل مسرى الحوار الديني،"(1).

وتبتغي هذه الدراسة ابراز جانبٍ من أسس الحوار الديني والتعارف الإنساني الممكنة بين الأديان الكتابية (اليهودية والمسيحية والإسلام)، من خلال البحث في علاقة

«االبناء الاجتماعي» لكن تحت ألفاظ ومصطلحات متعددة، فقد ظهر المفهوم في كتابات (ماركس) تحت عنوان (التركيبات السفلى والتركيبات العليا). وعند (دوركايم) باسم (التركيبات الموروفولوجية). والواقع أن جذور الفكرة تمتد إلى منتصف القرن الثامن عشر وبخاصة في كتابات (موتسكيو) الذي يعد بحق مؤسس علم الاجتماع المقارن، وأن أفكاره مهدت لظهور النسق الاجتماعي الكلي الذي يتكلم عنه كثير من العلماء المحدثين. وقد اتضحت هذه الأفكار لدى (هربرت سبنسر) وخاصة في مجال تشبيه المجتمع بالكائن العضوي وهذا الموقف ساعد على ظهور فكرتي (البناء Structure) (والوظيفة Function) المستخدمتان في الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية من بعده ثم وصلت الفكرة إلى ذروتها في تفكير العالم الفرنسي (اميل دوركايم) في معالجة موضوع الحقائق الاجتماعية التي تمتاز بعموميتها وقدرتها على الانتقال من جيل إلى آخر.» أنظر ايمان محمد الطائي، وحسن حمود الفلاحي، مجلة البحوث التربوية والنفسية، مقال :"**التكوين الاجتماعي والثقافي ودورهما في التنمية المستدامة**"، مركز البحوث التربوية والنفسية، عدد 11 بدون سنة نسخة pdf ص 6.

ومن التعريفات التي يمكن الاستدلال بها في تعريف مفهوم «البناء الاجتماعي» تعريف رادكلف براون بأنه «شبكة العلاقات الاجتماعية الفعلية التي تقوم بين سائر الأشخاص في المجتمع الواحد» أنظر Radcliff .G, B. 1952, Structure and Function in Primitive Society, London. 1950, P :106

وتعريف فرويد الذي يرى أنه «وحدة القيم والمعايير التي توجه سلوك كل فرد من أفراد الجماعة من خلال تفاعله مع الآخرين ومع البيئة» راجع (Frued, S: 1922, Group psychology and Analysis (of the Ego. London, Hogarth. P. 229

(1)مشير باسيل عون، "**محنة الإيمان**"، دار المشرق –بيروت–، ط1، 2005م، ص 155.

الإيمان بالدين وتحليل وظيفتهما في السلوك الاجتماعي للإنسان المعاصر، مع التحليل النظري لأسس العلاقة بين االإيمان والدين.

I. ما المقصود بالدين

يعتبر التديُّن و"الدين" ظاهرة اجتماعية واكبت البشرية وعرفتها حتى أشدها همجية وبدائية، فالإنسان دائم النزوع إلى ما وراء الطبيعة، حتى نعت الإنسان بالكائن المتدين l'homo religiosus ذلك ما قررته حركة التدين في التاريخ وما شهدت عليه الأماكن المقدسة والمعابد، والرموز والآثار ذات المنزع الديني للإنسان في تعامل مع الكون والطبيعية، فقد "نرى في السابق، أو الحاضر، مجتمعات إنسانية لا حظ لها من علم أو فن أو فلسفة، ولكنا لا نعرف قط مجتمعا لا دين له."(1)فالدين إذن ظاهرة إنسانية بامتياز. لهذا فالظاهرة الدينية ظاهرة معقدة تتداخل فيها جملة عناصر تختلف من دين إلى آخر، ودراستها تنطلق من الحقل الدلالي لكل ديانة من خلال مفاهيمها ومعتقداتها. وهذا التنوع والتشعب انعكس على التعريف الذي حاول مراعاة خصائص الأديان المشتركة، بالشكل الذي يجعل المفهوم أكثر استيعابا لقدر كبير من الأديان، ذلك ما عمل على إبرازه المؤرخون والفلاسفة وعلماء الاجتماع. فكلمة "الدين" في المعاجم اللغوية أصلها من "دين" فالدال والنون فيها «أصل واحد إليه يرجع فروعهُ كلُّها. وهو جنس من الانقياد والذُّل. فالدِّين: الطاعة، يقال دان له يَدِين له يَدِين دِيناً، إذا أصْحب وانقاد وطَاعَ. وقومٌ دِينٌ، مُطِيعون منقادون»(2)

وعند النظر في اشتقاق الكلمة ووجوه تصريفها نجد أنها تعود إلى ثلاثة معاني تتضمن ثلاثة أفعال بالتناوب، تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه: «دانه يدينه»، وتارة من

---

(1) Henri Bergson, «**Les DEUX Sources de la Morale Et De La Religion**», Aout 1993, Paris, pp **99**.

(2) أحمد بن فارس "**معجم مقاييس اللغة**"، مادة [دان] ص **319**.

فعل متعد باللام: «دان له» وتارة من فعل متعد بالباء: «دان به» وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية التي تعطيها الصيغة."[1]

والمادة كلها تدور على معنى لزوم الانقياد فإن الاستعمال الأول، الدين هو إلزام الانقياد، وفي الاستعمال الثاني هو التزام الانقياد وفي الاستعمال الثالث هو المبدأ الذي يلتزم الانقياد له."[2] ومن أشهر التعريفات في الفكر الإسلامي تعريف الدين بكونه « وضع إلهيّ سائق لذوي العقول باختيارهم إيّاه إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل. وهذا يشتمل العقائد والأعمال ويطلق على كل ملّة نبي»[3] فـ«الدين يقال للطاعة والجزَاءِ واسْتُعير للشريعة، والدين كالملة لكنه يقالُ اعتباراً بالطاعة والانقياد للشريعة، قال تعالى ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾[4] وقال ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**﴾[5] أي طاعة».[6]

ومن زاوية علم الاجتماع الديني يتم تعريف الدين على "أنه الإحساس الذي نشعر به حينما نغوص في بحر من الأسرار، كما يقول سبنسر (Spencer)(1820 – 1903م)، أما ماكس موللر (Max Muller) (1823 –1900م) فيحدده بأنه إحساسنا باللامتناهي، ويذهب شيلرماخر (shleiermacher) (1768– 1834م) إلى أنه خضوع الإنسان لموجود أسمى منه – وأخيراً يرى (Feuerbach) (1804 – 1872م)

---

(1) عبد الله دراز "**الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**"، دار القلم، كويت، ط. **2**، **1428**هـ/**2008**م، ص **57**.

(2) عبد الله دراز "**الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**"، م. س، ص **62**.

(3) محمد التهانوي، "**كَشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**"، تحقيق علي دحروج، سلسلة موسوعات المصطلحات العربية والإسلامية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996م، بيروت لبنان، الجزء الأول، ص **814**

(4) ال عمران / **19**.

(5) النساء / **124**.

(6) الراغب الأصفهاني، "**المفردات في غريب القرآن الكريم**"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص **181**

أن الدين هو الغريزة التي تدفعنا نحو السعادة."(1) وأشهر تعريف للمدرسة الاجتماعية هو ما قدمه إميل دوركايهم (Emile Durkheim) (1858 –1917م) بقوله «هو نظام متسق من المعتقدات والممارسات التي تدور حول موضوعات مقدسة يجري عزلها عن الوسط الدنيوي وتحاط بشتى أنواع التحريم، وهذه المعتقدات والممارسات تجمع كل المؤمنين والعاملين بها في جماعة معنوية واحدة تدعى كنسية.»(2) لكن بدوره هذا التعريف "لم يسلم من النقد فقد هاجمه لالاند في معجمه الفلسفي، إلا أنه ظل مأخوذا به في وجهة النظر الاجتماعية، وأخذ به كل تلامذة دوركايم من المدرسة الفرنسية."(3)في حين تتحدد ماهية الدين من زاوية النظر الانتربولوجية على أنه «عملية استرضاء وطلب عون قوى أعلى من الإنسان، يعتقد أنها تتحكم بالطبيعة والحياة الإنسانية، وهذه العملية تنضوي على عنصرين؛ واحد نظري والآخر تطبيقي عملي، فهناك أولاً الاعتقاد عليا، يتلوه محاولات لاسترضاء هذه القوى ولا يصلح الدين بغير توفر هذين العنصرين.»(4)

من خلال التعاريف السابقة لكلمة "دين" نخلص إلى أن الكلمة تطلق على كل ما اتخذه الإنسان لنفسه وارتضاه دينا، سواء أكان ذلك دينا من عند الله أو من وضع البشر، لأن القرآن – كما سبق– يطلق الكلمة على الدين الذي أنزله من عنده ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾ وأطلقها كذلك على دين اليهود والنصارى ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ**

---

(1) علي سامي النشار، "**نشأة الدين النظريات التطورية والمؤلهة**"، دار السلام، –القاهرة –، سنة 2008م، ط1، 1430هـ/2009م، ص **24**

(2) Emile Durkheim, **The Elementary Forms of Religous Life**, pp **50– 63** ، وأنظر أيضاً فراس السواح " **دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدفع الديني** " منشورات دار علاء الدين، ط.1 دمشق، ص **28.**

(3) علي سامي النشار، "**نشأة الدين النظريات التطورية والمؤلهة**"، دار السلام، –القاهرة –، سنة 2008م، ط1، 1430هـ/2009م، ص **31**

(4) فراس سواح "**دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدفع الديني** " م. س، ص**25**

إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[1]فقد ووردت كلمة "الدين" في القرآن الكريم أكثر من تسعين مرة، وتعدد استعمالها بحسب معانيها في اللغة والسياق، فدلت تارة على يوم القيامة حيث الحساب والجزاء على أعمال الحياة الدنيا، وذلك في قوله تعالى (يوم الدين) في عدة آيات منها (**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**)[2]، وقوله (**وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ**)[3]، وقوله ﴿ **وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ**﴾[4]. فالدين هنا جزاء وحساب. والدين هنا أن يكون الأمر لله وحده في كل صغيرة وكبيرة ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ** ﴾[5].

كما استعملها القرآن بمعنى الإسلام الذي ارتضاه الله للبشرية وأنزله على رسله عبر مراحل وحقب تاريخية اكتملت مع محمد ρمثل قوله تعالى ﴿**وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾[6]، وقوله (**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾[7]، وقوله ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[8] ، وقوله {**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**)[9].

أما استعمال الكلمة في تاريخ الأديان "فلها معنيان لا غير. (أحدهما) هذه الحالة النفسية (etat subjectif) التي نسميها التدين (religiosite) (والآخر) تلك الحقيقة

(1)النساء الآية **170**

(2)الفاتحة / 4

(3)الصافات / 20

(4)الذاريات / 6

(5)الانفطار / 17

(6) البقرة / 131

(7) آل عمران / 19

(8)التوبة /33

(9)الروم / 29.

الخارجية التي يمكن الرجوع إليها في العادات الخارجية، (fait odjectif) أو الآثار الخالدة، أو الروايات المأثورة، ومعناها: جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم، اعتقادا أو عملا. (doctrine religieuse) وهذا المعنى أكثر وأغلب"(1) لهذا نجد أن التعريف الأكثر حضوراً في المجال التداولي للأديان الكتابية "يحصر مسمى الدين في نطاق الأديان الصحيحة، المستندة إلى الوحي السماوي، وهي التي تتخذ معبوداً واحداً، هو الخالق المهيمن على كل شيء."(2)

إن تحديد مدلول كلمة دين؛ مدخل مركزي لبحث أسس العلاقة بين الإيمان والدين؛ لهذا نعتبر العلاقة بينهما علاقة متكاملة، فإذا كان "الإيمان" الإطار العام والحامل لمعتقد الإنسان، فالدين هو التجلي والمؤشر على درجة هذا الإيمان، لهذا يمكن وصف هذه العلاقة بينهما بالعلاقة التبادلية، الدين في اتجاه الإيمان والإيمان في تجاه الدين. وهو ما يوضحه الشكل أسفله، حيث تشير الدائرة الأولى إلى (الدين) وتشير الثانية إلى (الإيمان) وكل منهما يخترق الآخر إذا اجتمعتا ويلتقيان في دائرة الحياة اليومية للمتدين، التي يعصب فيها تحديد أين يبدأ الدين وأين ينتهي الإيمان. فتكون النتجية دائرة كبرى تعطينا حياة الإنسان وأعماله اليومية المؤطرة بعقيدته متجسدة في تدينه.

II. علاقة الدين بالإيمان ودورهما في البناء الاجتماعي

إن تناول الدين من المنظور السوسيولوجي والانتربولوجي، يفتح آفاق النظر للعالم من زوايا مختلفة؛ العالم «المقدس» و«المدنس»[3] والأهم بالنسبة لنا اعتباره نظاما متسقا من المعتقدات، التي لا يمكن أن تتجلى في «دين» وتأخذ أشكالا من الطقوس والتعبيرات

---

(1)عبد الله دراز "**الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**"، م. س، ص **62 – 63**.

(2) نفسه، ص **66**.

(3)لفك التشابك بين "المقدس" و"المدنس" يرجى الرجوع إلى كتابات مرسيا الياد، "**أسطورة العود الأبدي**"، ترجمه عن الفرنسية نهاد خياط، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، – دمشق–، الطبعة الأولى 1987م، ص 15– 16. وكذلك مرسيا إليا، "**المقدس والعادي**"، ترجمة: عادل العوا، دار التنوير– بيروت–،سنة 2009م، ص 51 وما بعدها.

المختلفة، بدون وجود الإيمان الذي يشكل الروحي و النفسي للإنسان من أجل تصديقها وتمثيلها على الواقع. فهناك إذن علاقة جدلية وطيدة بين الدين والإيمان، فالدين تجل للإيمان، والبعض اعتبر "أن كل من «الدين» و«الإيمان» مرادفان، وأنه يمكن تعريف كل دين على أنه "إيمان" لكنه في الواقع ليس صحيحاً إلّا بمقدار محدود جدّاً. فغالبية الأديان تُعرَّف بطريقة أخرى، ولها مركز ثقل غير الإيمان. فالعهد القديم في مجمله، لا يُعرَّف بمعنى "الإيمان" بل بمعنى «الشريعة» وديانته هي قبل كل شيء، نظام حياة، مع أنها لا تنفي فعل الإيمان الذي ازدادت أهميّته مع الزمن. كذلك في بعض الأديان الوضعية كالتدين الروماني مثلاً هو أيضاً قد فهم الدين على أنه تَقَيُّد بطقوس وأعراف. فهذه الديانة لا تقتضي الإيمان بما يفوق الطبيعة كعنصر جوهريّ أي أنه يمكن المنتمي إلى هذه الديانة ألَّا يؤمن البتَّة بما يفوق الطبيعة، من دون أن يؤدي ذلك إلى اعتباره كافراً."(1)

ويمكن تحليل الدين في علاقته بالإيمان من خلال ثلاثة زوايا تحدد التعبيرات المختلفة للإيمان بواسطة «الدين»:

الأولى: من حيث أن الدين هو معتقدات، تفرّعت منه مفاهيم «العقيدة» و«الاعتقاد» و«الإيمان» و«الأمانة» و«التعليم» و«المذهب» و«النحلة». والدين هنا يقوم بدور المؤطر والموجه للعقيدة. أي خلاف المجتمعات التي لا تدين بأي دين وتجعل من السلوك المدني والفكري موجها لاعتقاد الأفراد.

الثانية: من حيث أن الدين هو مؤسسة اجتماعية، تفرعت منه، مفاهيم «الأمة» أو«جماعة المؤمنين» و«الكنيسة» و«الملّة وّالمذهب» و«النحلة» أو «الفرقة». وهذه العلاقة هي التي تمثل جوهر الاشكال الذي يهدف الكتاب إلى مقاربته، أي كيف تنبثق المفاهيم الاجتماعية من الدين والإيمان، وكيف تسطع الأديان تأطير الفعل الاجتماعي

---

(1)راتسنجر، ج. "**مدخل إلى الإيمان المسيحي**"، ترجمة الدكتور، نبيل الخوري، سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم، منشورات المكتبة البولسية –بيروت-. سنة 1994م، ط. 1، ص 24

من خلال مفاهيم دينية، ويظهر من المفاهيم المستوحاة من علاقة الدين بالإيمان أنها تتمحور أساساً حول الجماعة.

الثالثة: من حيث الموقف الإيجابي، من الدين، لدينا مفاهيم «الإيمان» و«الاعتقاد» و«الاهتداء» و«العبادة» و«الطاعة» و«الإتباع».(1)

وكل قسم من الأقسام الثلاثة يحيل على تعبيرات مهمة، تبرز تجلياته الاجتماعية، وعلاقته بالفرد أو الجماعة؛ الأولى تجعل من الدين مؤسسة اجتماعية تتشكل عبر مفاهيم، سياسية (التعليم، النحلة، المعتقد، المذهب،) وهذه المفاهيم فيها إشارة إلى الجماعة. إذ من خلال مفهوم «الكنيسة» مثلاً يتمظهر الدين باعتباره مؤسسةً اجتماعية، فالكنسية تستوعب الإيمان المسيحي وتنظمه من خلالهاإذ تعتبر الوسيط بين الإله وبين المؤمنين، وفي المنظور الإسلامي يوضح مفهومي «الملة» و«الأمة» عن انتماءات اجتماعية لجماعة المؤمنين مؤسسة على أساس عقدي لهذا أنكر يوسف υ انتماءه لملة قومه بسب اختلافها المرجعي معه في الإيمان بوحدانية الله Y وتبع ملة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿**إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾(2) حتى إن الجرجاني اعتبر أن الدين و«الملة» متحدان بالذات، ومختلفان بالاعتبار، فإن الشريعة من حيث أنها تطاع تسمى ديناً، ومن حيث أنها تجمع تسمى ملة، ومن حيث أنها يرجع إليها تسمى مذهباً."(3)

أما التقسيم الثاني فهو نتاج الأول؛ الذي يفضي إلى جماعة المؤمنين، أو الكنسية، في حين يشكل التقسيم الثالث الطريقة والغاية من الدين والعمل على الانخراط الايجابي

(1) الخوري بولس، "**مفهوم الدين: المفاهيم عند المسيحيين المفاهيم الفلسفية واللاهوتية في المجادلة بين المسيحيين والمسلمين من القرن الثامن حتى القرن الثاني عشر**"، المكتبة البولسية، جونية –لبنان ، 2004م، ط. 1، ص 13

(2)يوسف / 37 – 39.

(3) "**التعريفات**" م، سابق، ص 117

وسط المجتمع والسهر على تعزيز القيم الإيجابية المشكلة للمجتمع الراعية لمقاصد الإنسان.

إن علاقة الدين بالإيمان تقدم الدين على أنه جملة معتقدات وغيبيات ونبوات يراعيها الدين وينظمها، وتجعل من الإيمان منطلقا لتشكيل الدين، له قدسيته عند الجماعة المؤمنة به وهذا ما يعني انصهارها الاجتماعي مع ما يقصده هذا الدين، فتجعل من أعرافها وتقاليدها ونظمها الاجتماعية والسياسية تراعي هذا الإيمان بالدين، ولهذا فالبحث عن التعبير الاجتماعي للإيمان تسمح للباحث الانتربولوجي ولمورخ الأديان في دراسة وفهم تطور الوعي الديني عند الشعوب، من خلال التراكم النوعي الحاصل في توظيف الانتربولوجية وعلم الاجتماع الديني في دراسة الدين على أنه معتقدات. ومنطلق ذلك الانطلاق من الوثائق والنصوص الدينية للأديان الكتابية، من خلال الانتظام في إطارها النظري الإبستمولوجي، ويشتغل هذا المنهج على النصوص بشكل لا يلغي خصوصياتها المعرفية، وتحليل معطيات الإنسان فيها من خلال المعطى الثقافي والاجتماعي للأحداث المدروسة، أي أن مقاربة الاشتغال؛ بقدر ما تمتحي من المفاهيم الانتربولوجية، تستند إلى «مقاربة الظاهرة الدينية على صعيد حقل مرجعيتها الخاص بها.»[(1)]

إن الدلالات السابقة تفتح أفاق النظر لجملة خصائص تساهم في تشكل وبلورة الوعي الاجتماعي بالظاهرة الدينية؛ ومن ثمة الإحاطة بكل أبعاد الواقع المحيط بالإنسان والمجتمع. كما أن بحث علاقة "الإيمان" "بالدين" تشكف مدى ارتباط معتقدات الإنسان بالوجود الاجتماعي كله في لحظة تاريخية معينة، وهذه الخصائص هي التي تحدد الأبعاد التي يشملها علاقة الإيمان والدين.

III. دور الدين وأبعاده الاجتماعية

(1) ميرتشيا إلياده، "**البحثُ عن التاريخ والمعنى في الدين**"، ترجمة سعود المولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت –لبنان–، ط. 1، كانون الأول (ديسمبر) 2007م، ص **21**.

اهتمت «سوسيولوجيا الأديان» بالدراسة الاجتماعة للأديان، و«الانتروبولوجيا» بدراسة المجتمعات وتحولاتها؛ الثقافية والدينية والاجتماعية والسياسية، ويشكل علم الاجتماع الديني حلقة مهمة في مسار دراسة الأوضاع الدينية للمجتمعات سعيا لتفسير تحولاتها وتطورها. إذ تحاول «سوسيولوجيا الأديان» أن «ترد الظاهرة الدينية إلى أسسها الاجتماعية. فالدين ظاهرة اجتماعية، والمؤسسات الدينية جزء من المجتمع، والدين ينبع من المجتمع والمجتمع يفرز الدين، ولا يعني هذا أن سوسيولوجيا الأديان تنكر المصدر الإلهي للدين، أو تنكر الوحي والنبوة والكتب المقدسة، بل على العكس تماماً. إذ هي تعترف بكل ذلك، لكنها في نفس الوقت تهدف البحث في التأثير الذي يحدثه الدين في المجتمع، والمجتمع في الدين، والظروف التي تمكن ديناً من الانتشار في مجتمع ما، والتي تجعل ديناً آخر لا ينتشر. كما أنها تدرس الجماعة الدينية ذاتها باعتبارها جزءاً من المجتمع: كيفية تكوُّنها، والآليات التي تحكم تأسيسها وتطورها، وأنماط الفعل والسلوك التي تدعمها أو ترفضها»[1] في حين تهتم الدراسة الانثروبولوجية بالبحث "في بنية الأديان البدائية، الإحيائية (Animism) والأرواحية (Spiritualism)، من خلال التركيز على دراسة أنظمة الشعوب القديمة اجتماعيا وثقافيا، ويشير الباحث أشرف منصور في كتابه الرمز والوعي الجمعي دراسات في سوسيولوجيا الأديان"، إلى أن الرأي قد استقر «على أن الدراسة الانثروبولوجية تركز على الأديان البدائية، الإحيائية Animism والأرواحية Spiritualism، والدراسة السوسيولوجية تركز على الأديان الكتابية، اليهودية والمسيحية والإسلام.»[2]وتستند المقاربة الانثروبولوجيا في دراستها لـ«للإنسان» على منظور وضعي في أربعة مداخل: «الأول، وضع عدد من المفاهيم بدءاً بمفهوم الإنسان ذاته لا بقصر النظر إليه ذات عارفة بل موضوعا للمعرفة، الثاني، وضع معرفة لا تقتصر على التأمل بل تتعداه إلى الملاحظة وهذا نمط جديد لولوج الإنسان الذي ينظر إليه في حياته الواقعية على أساس أنه يخضع لتحديدات بنيته الجسمية وعلاقاته للإنتاج

(1) أشرف منصور، "**الرمز والوعي الجمعي دراسات في سوسيولوجيا الأديان**"، ط. الأولى 2010م، رؤية للنشر والتوزيع – القاهرة– ، ص 8– 9.

(2) نفسه، ص 11.

ولغته ومؤسساته وسلوكاته. وفق هذا المنهج نشأت تدريجياً معرفة وضعية تجريبية، تختص بالإنسان من حيث هو كائن حيّ (علم الأحياء)، عامل (الاقتصاد)، مفكر (علم النفس)، متكلم (الألسنية)... والثالث؛ إحداث إشكالية كبرى، إشكالية الاختلاف في قطيعة مع الاعتقاد بوجود شفافية مباشرة للكوجيتو الذي ساد في القرن 17، رابعا، اعتماد منهج الملاحظة والتحليل، المنهج الاستقرائي.»(1)

وقد مرت علاقة الدين بالمجتمع بتحولات فكرية عميقة، تأثرت بشكل خاص بتجربة النهضة الأروبية، ويمكن تقسيم الآراء حول الدين والمجتمع إلى ثلاثة أقسام(2):

1) «فئة ترى دوراً أساسياً للدين في قيادة الوعي الاجتماعي، أو على الأقل في صياغة اللاشعور العام. داخل هذه الفئة هناك من يرى إلى تحويل الدين من مجرد وصايا وتعاليم، إلى منظومة أيديولوجية ذات فعالية فكرية ومؤسسة وسلطوية.

2) فئة تدعو إلى دين أخلاقي، حدوده تكريس مشروعية القيم، وسواء كان هذا الدين، إلهياً أو طبيعياً، ميتافيزيقيّاً أو إنسانياً، فإنه الأقدر على إنقاذ نظام القيم، وعلى ضبط السلوك البشري أثناء تلبية الحاجات والرغبات.

3) فئة ثالثة، تدين الدور الاجتماعي للدين، وتدعو إلى أن يحل محله العلم أو الفلسفة، أو قيم العلم»(3).

ويعكس هذا التوجه الصراع والتوتر الحاد،بين العلم والدين الذي وصل إلى حد «الخصومة بين المذهب المادي وبين الفلسفة المثالية والعقلية الكهنوتية. وقد بلغ التوتر مبلغ الأزمة، عندما أعلن كارل ماركس (Karl Marx) (1818م – 1883م) تفسيره

(1) أنظر فرنسوا لابلانتين، "**مفاتيح الأنثربولوجيا**"، ترجمة حنفاوي عمايريّه، سلسلة علوم إنسانية، مركز النشر الجامعي، 2000م، تونس، بدون رقم ط. ص 45 – 46.

(2) عبد الحليم فضل الله، "**دور الدين في تكوين النظام المجتمعي**"، ضمن أعمال ندوة "الإسلام والمسيحية بحوث في نظام القيم المعاصر"، دار الهادي، بيروت –لبنان–، ط1، سنة 1424هـ/2003م، ص 218.

(3) عبد الحليم فضل الله، "**دور الدين في تكوين النظام المجتمعي**"، مرجع سابق، ص 218.

المادي للتاريخ، وبيانه الشيوعي سنة 1848م. فهز صَرْحَ الكَهنُوتِ بجحده الأديان.»[1] وتعزز بإعلان تشالز داروين (Charles Robert Darwin) (1809– 1882م) لنظريته في كتابه "أصل الأنواع" سنة 1859م، «فقدمت نظريتُه في نشوء الأنواع وتطورها بالانتخاب الطبيعي، تفسيراً بيولوجياً لما كان من اختصاص التأملات الفلسفية والغيبيات اللاهوتية.»[2]

إن العناية بأهمية الدين وبحث أدواره الاجتماعية كانت بدايته مع عدد من الفلاسفة الذين اعتبروا دراسة معتقدات الإنسان مدخلاً لدراسته؛ ذلك ما عبر عنه ول ديورانت «Will Durant» (1885 –1981م) بقوله «ليس في وسعنا أن ندرس الإنسان على الإطلاق إلا إذا درسنا آلهته»[3]. هذا يجعل من حضور الدين في حياة الإنسان معطى ضرورياً وأساسياً أثبت التاريخ قوة ارتباط الإنسان به، فقد «نرى في السابق، أو الحاضر، مجتمعات إنسانية لا حظ لها من علم أو فن أو فلسفة، ولكنا لا نعرف قط مجتمعا لا دين له»[4]. وحتى الذين عملوا على تغييب الدين واستبداله بفلسفات لم يسعفهم مجهودهم الفكري في إزالة الدين من حياة الإنسان، بسبب قوة الاعتقاد الديني، واستعصاء انتزاعه من أطر التفكير البشري، وكذا من أنساقه الثقافية، وبسبب حتمية فشل الفكر المادي ونهايته، وبقاء التدين علامة على ملازمته للإنسان، وقد عبر العلامة عبد الله دراز على ذلك بقوله: «إن من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه، وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين، بل سيبقى حجة ناطقة

---

(1)عائشة عبد الرحمن، "**<u>القرآن وقضايا الإنسان</u>**"، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان–، ط4، كانون الثاني1981م، ص **209**.

(2)عائشة عبد الرحمن، "**<u>القرآن وقضايا الإنسان</u>**"، المرجع السابق، ص **209**

(3) ديورانت ول، "**<u>قصة الحضارة</u>**" (ترجمة) محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر –القاهرة–، بدون رقم الطبعة ولا سنة النشر، ج.2، ص **156**

(4) Bergson Henri, «**<u>Les DEUX Sources de la Morale Et De La Religion</u>**», Aout 1993, Paris, pp **99**

على بطلان المذهب المادي الذي يريد أن يحصر الإنسان في المضايق الدنية للحياة الأرضية»[1].

لقد تعزز الاهتمام المبكر لعدد من الفلاسفة والمفكرين بموضوع الدين والنظر إلى أهميته في حياة الإنسان بالاهتمام المتزايد للعلوم الإنسانية والاجتماعية في دراسة الدين وقضاياه، مع التقدم النوعي الذي أحرزته دراسة النصوص الدينية في علم الأديان المقارن[2] بشكل خاص، وهي نتيجة طبيعية لـ«عودة الدين» أو«القدسيّ» عموماً إلى الفضاء العام، من خلال بروز الصحوة الدينية العالمية.

إن هذا الإطار النظري والسوسيولوجي للظاهرة الدينية، تفسره حركية الدين في المجتمع والدينامية التي يخلقها، سواء في الديانة المسيحية واليهودية أو الإسلام، وهو ما تؤكده "دراسة مستفيضة أعدتها كنائس كلاسكو، أظهرت أن الكنائس في هذه المدينة في سنة 2006 وعددها 315 قد قامت بـ 2382 فعّاليّة على شكل مجموعات تعاونيّة وخدمات اجتماعية ومشورات عدليّة ومجموعات دعم فني ودروس تربية بدنية وصحيّة ودروس تثقيفيّة."[3] وغيره كثير من الأعمال الاجتماعية التي تقوم بها الكنائس على

(1) دراز عبد الله، "**الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**"، مر، س، ص 134

(2) يطلق عليه كذلك "تاريخ الأديان"، أو "الأديان المقارنة"، أو"علم فينومينولوجيا الأديان" أو "علم ظاهرة الأديان"، ويدور هذا العلم على اختلاف مسمياته حول وصف الأديان وصفاً علمياً موضوعياً يهتم بمسيرة الأديان في التاريخ من ناحية وبمقارنة ظواهرها الأساسية مع الاهتمام بكل العناصر المكونة للظاهرة الدينية والعوامل المكونة للتجربة الدينية عند الإنسان. ويهدف إلى تجاوز ما عرفته الدراسات الدينية التي تهتم بجانب واحد من هذه التجربة، فاهتم المؤرخ مثلا بالعنصر التاريخي في الظاهرة الدينية واهتم عالم النفس بالجانب النفسي فيها، واهتم عالم الاجتماع بالجانب الاجتماعي، وهكذا بالنسبة لبقية الاتجاهات العلمية. ونتيجة لهذا التفرع العلمي لجانب من الجوانب الظاهرة الدينية يهدف "علم تاريخ الأديان" إلى توحيد الدراسات المتعلقة بالظاهرة الدينية، والاستفادة من المنجزات العلمية التي حققتها العلوم المختلفة في مجال دراسة الدين، ومحاولة التوفيق بين الاتجاهات المتعددة لنحصل في النهاية على علم للظاهرة الدينية.

-راجع: حسن محمد خليفة، "**تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة**"، مر، س، ص 21 – 22

(3)دافيد فيرجسون، "**حوار الإيمان ومنتقديه**"، ترجمة، منير العلي، دار الفارابي، بيروت –لبنان–، ط1، كانون الثاني 2014م، ص 120

تنوعها وتعددها، نفس الشي في البلدان الإسلامية إذ نجد أن العمل الخيري الإسلامي الذي تقوم به المؤسسات الرسمية والحكومية، أو الجماعات الدينية والحركات الإسلامية، ودور العبادة أصبح يعرف اقبالاً ملحوظاً ويلقى قبولاً في أوساطه. ليشكل بذلك أرضية خصبة للدراسات الاجتماعية التي تنطلق من هذه الأعمال وتفاعلها مع المعطى لرصد حركية التدين مع مختلف الفاعلين الدينيين. وفق هذا يكون استحضارنا لبعض المؤشرات الدالة على مقاربة علم الاجتماع الديني من خلاله مفاهيميه ومنظوره للدين والتدين ولأن الكتاب أساساً يعنى بالبحث في الكتب الدينية المقدسة أي الانتماء إلى حقل المقارنة الدينية، فإن الإشكال الذي نتناوله بالبحث يفرض علينا استحضار جانبٍ من التقاطع والتشابك الذي يشهده حقل تاريخ الأديان، مع المجالات المعرفية الأخرى (الفلسفة، التاريخ، الانتربولوجيا وعلم الاجتماع الديني) سعيا لتقديم تفسير اجتماعي للدين وهو ما اختص به المبحث الأخير لهذا الفصل.

IV. التعارف والحوار الديني من خلال قاعدة العمل الاجتماعي

كثيرا ما نعثر على إشارات لاقتران الإيمان بالإحسان والبر وفعل الخير في نصوص الأديان الكتابية، وهو ما يمكن جعله أرضية صلبة لإعادة الحوار الديني إلى مسعاه الخيري، الذي فشلت فيه الكثير من الحوارات والتي عادة ما يطبع عليها طابع المجاملة، إننا أقرب اليوم إلى الحاجة إلى ما يسميه عز الدين عناية «الحوار الاجتماعي»[1] أي البحث عن المداخل الاجتماعية للإديان لكي تشكل منطلقاً للحوار الديني والإنساني عوض لغة التنافر والتناظر اللاهوتي. لأن ما يعوز الأديان الثلاثة في حاضرنا "هو تفعيل ميثاق قيمي جامع بينها، يتعهد بمقتضاه رجالاتها بالالتزام بعمل الخير المشترك بينها، لتنبثق عن ذلك التكاتف هيئة دينية ساهرة تتولى تفعيل قيم العمل الصالح، وضبط الخلل الحاصل جراء التعايش الحضاري، مع تقديم المقترحات والحلول في الشأن".[2]وأيضاً لكون الإحسان والعمل الاجتماعي عموماً هو تجلّ عملي لمفهوم

---

(1)عز الدين عناية، "**الأديان الإبراهيمية قضايا الراهن**"، مر، سابق، ص 107.

(2)نفسه، ص 107.

الإيمان، يخرج به من حيز المفارقة إلى التمظهر العيني.[1] لذلك تكاد تجتمع الأديان الثلاثة على أمر الإحسان وفعل الخير –وإن اختلفت فلسفتها التشريعية له–، إلا أن نصوصها تبدو على درجة من الاهتمام بالخير وأعمال البر.

وفق التحليل الظواهري، فإن مقصد الطقس يهدف إلى ترسيخ علاقة عمودية بين العابد ومعبوده، علاوة عما يتولد عن الممارسة الجماعية للطقوس من توطيد علاقة أفقية بين أفراد الجماعة المؤمنة، بما يساهم في تمتين عرى التماسك واللحمة بينها ويشعرها بالألفة والتضامن،[2] وهذا راجع إلى وازع إيماني الذي يشكل العنصر الفعال في فلسفة الأديان في أعمال الخير والبر فيها،

1. العمل الخيري والإحسان في النص التوراتي

رغم ما يكتنف النص التوراتي والعهد القديم عموماً من صعوبة في إبراز أبعاد العمل الخيري والاجتماعي فيه، بالنظر إلى سياقه التاريخي والثقافي والأدبي؛ إلى أن جزء من الكتابات التبشرية أساساً تحاول إبراز ملامح الزاوية الاجتماعية للعهد القديم[3] وترى أن الأخلاق واللاهوت لا ينفصلان في الكتاب المقدس

أما مرجعية أفعال الخير والأعمال الصالحة فتستمد مرجعيتها في اليهودية وحوافزهما من فريضة «الصدقة» المستوحاة من النص المقدس أساساً،[4] إذ لم يكن اختيار إبراهيم إلا [**لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ،**

(1)نفسه، ص 102.

(2)عز الدين عناية، "**الأديان الإبراهيمية قضايا الراهن**"، مر، سابق، ص 102.

(3)كريستوفر ج. رايت، "**أخلاقيات العهد القديم لشعب الله**"، ترجمة فينيس نقولا، دار الثقافة –القاهرة–، ط1، 2011م، ص 43.

(4)عز الدين عناية، "**الأديان الإبراهيمية قضايا الراهن**"، م، س، ص 104

لِيَعْمَلُوا بِرًّا وَعَدْلاً، لِكَيْ يَأْتِيَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ"}.[1] وكذلك **[لأَنَّهُ لاَ تُفْقَدُ الْفُقَرَاءُ مِنَ الأَرْضِ. لِذلِكَ أَنَا أُوصِيكَ قَائِلاً: افْتَحْ يَدَكَ لأَخِيكَ الْمِسْكِينِ وَالْفَقِيرِ فِي أَرْضِكَ}.**[2]

وتُعْرَفُ الصدقة في العهد القديم بأنها «بادرة صلاح من الإنسان نحو أخيه، وهي اقتداء بأثر الله الذي هو دليل الصلاح نحو الإنسان»[3]والمعنى المقصود بالصدقة في النص اليهودي هو «العدالة»، في أغلب الظن، وهو ما يشير إليه نص يحتوي على كلمة الإحسان في التوراة. وذلك في جزء من سفر دنيال المكتوب بالآرامية (4: 24) حيث جاء فيه **[لذلك أيها الملك لتحسُن مشورتي لديك وافتد خطاياك بالصدقة وآثامك بالرحمة للبائسين عسى أن تطول دعتك}** والنص العبري يعني أن الصدقة والإحسان يضمن توزيعاً عادلاً لعطايا الله إلى البشرية.[4]

وقد أخذت الصدقة مكانة سامية في تعاليم اليهود الدينية، وَرَدَ في التوراة:**[طوبى للذي ينظر إلى المسكين}**،[5] بل تُوجب تعاليم التوراة التَّصَدُّق على العدو: **[إن جاع عدوك فأطعمه خبزًا، وإن عطش فاسقه ماءً}**.[6] لهذا ينظر اليهود إلى "أَنَّ صدقتهم تجعلهم أرفع شأنًا وأعظم قدرًا، فهي مقبولة منهم؛ لأنهم أبناء الله، وأحباؤه، وشعبه المختار، كما يَرَوْنَ –قَدِيمًا– أَنَّ مَنْ يَتَصَدَّقُ من غير اليهود لا يتصدَّق بنية خالصة لوجهه الكريم، وإنما يفعل ذلك كبرياء"[7]

إن النص اليهودي يفصح عن بعد إنساني ظل غائباً ومنسياً في الإرث التوراتي، ذلك هو المفهوم الخيري الشامل لكافة البشر، الذي جاء ذكره في سفر الخروج **[وَأَصْنَعُ**

---

(1)تكوين 18: 19

(2)التثنية 15: 11

(3)عبد الرزاق رحيم صلال، "**العبادات في الأديان السماويّة**"، دار الأوائل، دمشق، ط1، 2001م، ص 95.

(4)آ. كوهن، "**التلمود (الأخلاق، الآداب، الدّين، التقاليد، القضاء)**"، مرجع، سابق، ص 29

(5)مزمور 41: 1

(6)الأمثال 25: 21.

(7)عبد الرزاق رحيم صلال، "**العبادات في الأديان السماويّة**"، مر، سابق، ص 95.

إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيَّ وَحَافِظِي وَصَايَايَ. لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلاً، لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلاً. اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ،وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ. لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ. لِذلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ. لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ}.[1]

إن الوصايا العشر التي وردت في الإصحاح 20 من سفر الخروج، سبقت بتمهيد تاريخي، يمكن أن تجمع في مجموعتين، عمودية وأفقية، أي علاقة الإنسان بالله، وعلاقة الإنسان بالجماعة،[2] والسهر على حماية المجتمع من الفسد الاخلاقي، حيث نصت على إكرام الوالدين،[3] وتحريم القتل،[4] وتحريم الزنا[5] والسرقة،[6] وشهادة الزور [7].

2, المنظور الإنجيلي لأعمال الخير والبر

يبدو العمل الصالح والفعل الخيري بمنظور أكثر شمولية في النص المسيحي، وهذا راجع أساساً إلى البعد الروحي الذي توصف بها الديانة المسيحية، لهذا تجد أعمال البر والإحسان مكانتها في النص الإنجيلي من ذلك ما جاء في رومية [**أَمَّا الَّذِينَ بِصَبْرٍ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَطْلُبُونَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْبَقَاءَ، فَبِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ}**.[8] ودعوته جباة

---

(1)الخروج 20: 6 – 16

(2)جون ماك آرثر، "تفسير الكتاب المقدس"، دار منهل الحياة، لبنان–، ط2، سنة 2012م، ص 182.

(3)خر 20: 12

(4)خر 20: 13.

(5)خر 20: 14.

(6)خر 20: 15.

(7)خر 20: 16.

(8)رومية 2: 7

الضرائب إلى المحبة والتسامح **[لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ فَضْل تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ**(1) **أَيْضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا؟فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ}**.(2) أو لأن الإحسان وأعمال البر أصبح لدى الكنيسة استراتيجية لجذب الآخر وكسب ودّه، بغرض استمالته للدخول في الدائرة الإيمانية.(3)

وتتجلى الدعوة إلى أعمال الخير والبر بشكل كبير في العهد الجديد والمسيحية عموماً من خلال ما يعرف بـ «الخدمة الدينية» (diakonia) التي تعني ضمن السياق الإنجيلي خدمة الجماعة المسيحية تحديداً. حيث تتكرر في مواضع مختلفة لتصف عدة أصناف من الخدمة، كخدمة موائد المحبة،(4) كما في إنجيل لوقا **[وَأَمَّا مَرْثَا فَكَانَتْ مُرْتَبِكَةً فِي خِدْمَةٍ كَثِيرَةٍ. فَوَقَفَتْ وَقَالَتْ: "يَارَبُّ، أَمَا تُبَالِي بِأَنَّ أُخْتِي قَدْ تَرَكَتْنِي أَخْدُمُ وَحْدِي؟ فَقُلْ لَهَا أَنْ تُعِينَنِي!" فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَها:"مَرْثَا، مَرْثَا، أَنْتِ تَهْتَمِّينَ وَتَضْطَرِبِينَ لأَجْلِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ،وَلكِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى وَاحِدٍ. فَاخْتَارَتْ مَرْيَمُ النَّصِيبَالصَّالِحَ الَّذِي لَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا"}**.(5) وجمع الصدقات إلى فقراء أورشليم، **[لِكَيْ أُنْقَذَ مِنَ الَّذِينَ هُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ، وَلِكَيْ تَكُونَ خِدْمَتِي لأَجْلِ أُورُشَلِيمَ مَقْبُولَةً عِنْدَ الْقِدِّيسِينَ}**.(6)

والكلمة لها دلالة كذلك على «الكرازة» في العهد الجديد وهي التي يوضحها إنجيل متى بشكل واضح بإعلانه أن المسيح جاء ليخدم الناس وليس لكي يخدموه**[كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ"}**.(7)

---

(1) العشارون: هم جامعو الضرائب، وكانوا عادة من اليهود الذين يدفعون للرومان ليعطوهم حق جمع الضرائب. وكانوا مكروهين من باقي اليهود بسبب جشعهم. أنظر الكتاب المقدس

(2)متى 6: 46 – 48

(3)عز الدين عناية المرجع السابق، ص 106

(4)عز الدين عناية، "**الأديان الإبراهيمية قضايا الراهن**"، م. سابق، ص 104.

(5)لوقا 10: 40– 41.

(6)رومية 15: 31

(7)متى 20: 28

وكلمة كرازة تعني؛ ينادى، يبشر، يهتف، جاء منه الاسم أي كرازة. ويُقال: العمل الكرازي، ومن يكرز هو "كارِز" – والأمر: "اكرز" – والمُثنّى: كارِزان، الكارزان.والفعل كرز هو سرياني الأصل، يعنى وعظ ونادى ببشارة الإنجيل للخلاص. و"الكرازة" هي الوعظ والتبشير علانية بالحقائق الإنجيلية خصوصًا والمسيحية عمومًا. والكارز أو الكاروز هو الواعظ أو المنادى بهذه البشارة.[1]

كما تشير الكلمة في العهد الجديد إلى أعمال الكرازة المناط بعهدة الرسل وبمن تطوّع من الرهبان خدمة للكنيسة. **{كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ"}.**[2] في هذا السياق نلمح وإن قامت الكرازة المسيحية على التّطوع {**اِشْفُوا مَرْضَى. طَهِّرُوا بُرْصًا. أَقِيمُوا مَوْتَى. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ. مَجَّانًا أَخَذْتُمْ، مَجَّانًا أَعْطُوا**}.[3] فإن العمل الصالح والخدمة ارتباطا دائما بالتبشير بالإنجيل، ولذا كان الحرص على فعل الخير يهدف إلى نشر كلمة الرب.[4] الأمر يظهر جلياً في قوله: **{فَأَجَابَ وَقَالَ:"مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ}**[5]

3, العمل الصالح والبر في القرآن الكريم أبعاد أخرى للإيمان

اقترن الإيمان "بالعمل الصالح" في القرآن الكريم حوالي (51) مرة، وتكرر ذلك أيضا في الحديث النبوي منه ما جاء في الأثر: الإيمان هو اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقصبالعصيان. والإيمان يشمل الأعمال الظاهرة والباطنة والدليل قوله صلى الله عليه وسلم «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،

---

(1) قاموس المصطلحات الكنسية، كلمة، "الكرازة"، أنظر الرابط: http://st-takla.org/

(2)متى 20: 28

(3)متى 10: 8.

(4)عز الدين عناية، "**الأديان الإبراهيمية قضايا الراهن**"، م. سابق، ص 104.

(5) متى 4 : 4

وَأَوْضَعُهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».[1]وفي القرآن الكريم "يتواتر الحديث عن عمل الإنسان في القرآن، فقد ورد جذر (عمل) 360 مرة، كما تواتر الحديث عن الصلاح، فورد جذر (صلح) 180 مرة، واقترن جذر عمل (93) مرة، فيما اقترنت جذور الأفعال الثلاثة (آمن وعمل وصلح) (88) مرة، ما يحمل دلالة مؤكدة على ارتباط الإيمان بالعمل الموصوف بالصالح، وقد اقترن العمل الصالح في هذا التركيب (الذين آمنوا وعملوا الصالحات)51 مرة، وهي معظم ما اقترن به الإيمان مع العمل الصالح بصيغته الصريحة في صيغ أخرى والتي بلغ مجموعها 69 مرة".[2]

إن هذا التواجد والاقتران بين الإيمان والألفاظ الدالة على العمل الصالح بمشتقاته وصيغه،يحوي بذاته إلى أن الخطاب القرآني ينظر إلى موضوع الإيمان من زاوية المحرك والدافع إلى إنتاج سلوك وقيم اجتماعية وثقافية في حياة الإنسان، من أجل تصحيح الصورة النمطية التي ترسخت عند الإنسان العربي في الجاهلية، حيث كانت عبادة الأصنام وأديان تكرس الفوارق الاجتماعية وتجمع بين الرقي والظلم في أبشع مستوياته*

---

(1)وفي رواية «بضْعٌ وستونَ، والحياءُ شُعْبَةٌ من الإيمان» زاد في رواية: «وأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق» . أخرجوه، إلا «الموطأ». وأسقط الترمذي من روايته «والحياءُ شُعْبَةٌ من الإيمان». وعنده في أخرى «الإيمان أربعة وستُّون بابًا». وعند النسائي في رواية أخرى «الحياءُ شعبة من الإيمان» مختصرًا. في "**السنن الصغرى**"، باب ذكر شعب الإيمان، رقم 5005،

(2)عبد الرحمن حللي، "**اقتران الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم ودلاته الحضارية**"، مرجع، سابق، ص 450

*لم يكن الناس على دين واحد في الجاهلية إنما ملل مختلفة ومذاهب شتىء، يوضح الشهرستاني اختلاف العرب في الملة والدين: « ومن العرب من كان يميل إلى اليهودية، ومنهم من كان يميل إلى النصرانية، ومنهم من كان يصبو إلى الصابئة، ويعتقد في الأنواء اعتقاد المنجمين في السيارات حتى لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم إلا بنوء من الأنواء، ويقول مطرنا بنوء كذا. ومنهم من كان يصبو إلى الملائكة فيعبدهم، بل كانوا يعبدون الجن، ويعتقدون فيهم أنهم بنات الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا». أنظر الشهرستاني، "**الملل والنحل**" تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت – لبنان–، 1402هـ/1982م، ج2، ص 238.

وبين التقرب إلى الآلهة والسعي إليها، لهذا سعى القرآن من خلال اقترانه بين الإيمان والعمل الصحيح إلى وضع أنموذج لمجتمع يحضر فيه البعد الإنساني.

إن هذا الاقتران القرآني بين الإيمان والعمل الصالح كان مثار إشكال عند المتكلمين في تعريف الإيمان، وإن كان نقاش هذا الجدل له أهميته في المبحث العقدي، فإنه في إطار الدرس الاجتماعي يصبح ثانوياً، فالبحث عن معالم النهضة القرآنية ومقوماتها لا تتوقف عند الحد الأدنى من الإيمان بل تتعداه إلى المطالب التامة للوجه الأمثل المطلوب، وتجلية هذا الوجه يمكن الكشف عنها من خلال ضمائم وسياقات الآيات التي اقترن فيها الإيمان بالعمل الصالح.(1)

لذلك نجد القرآن في تناوله لموضوع الإيمان في علاقته بالعمل الصالح يأخذ أربعة موضوعات رئيسية تعدُّ مقدمة تفسيرية لفهم رؤية القرآن للإيمان في أبعاده السلوكية والاجتماعية..

أ. الجماعة والإيمان

ما يلاحظ على اقتران الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم كثرة صيغ (الذين آمنوا) والغالب فيها جاء بصيغة الجمع، أي أن الخطاب متوجه إلى الجماعة المؤمنة، وهو ما يعني أن إصلاح المجتمع شأن تقوم به الجماعة وليس الفرد وحده.

والجماعة لغة مأخودة من الاجتماع، وهي ضد التفرقة، يقال: جَمَعَ الشيءَ عَنْ تَفْرِقة يَجْمَعُه جَمْعاً وجَمَّعَه وأَجْمَعَه فاجتَمع.، و جَمَعَ الشَّيْءَ الْمُتَفَرِّقَ فَاجْتَمَعَ.(2)

وفي الإصطلاح الشرعي فإن استعمالها يدور على عدة معاني؛

(1)عبد الرحمن حللي، "**اقتران الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم ودلالاته الحضارية**"، م. سابق، ص 451

(2)مختار الصحاح ج1/ 80 مادة (جمع) لسان العرب (جمع) 8 / 53 المعجم الوسيط (جمع) 1 /135

فشيخ الإسلام ابن تيمية يرى في "الجماعة" «هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين»[(1)]

وعموماً يمكن تلخيص دلالات مفهوم «الجماعة» في التداولي الشرعي الإسلامي في التحديدات الآتية:[(2)]

أحدها: أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام.

والثاني: جماعة أئمة العلماء والمجتهدين.

والثالث: الصحابة (رضوان الله عليهم) على وجه الخصوص.

والرابع: جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر.

والخامس: جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير.

فحضور مفهوم "الجماعة" إذن لها ما يقويه خاصة إذا استحضرنا الحديث المشهور والذي يستند عليه التفسير السياسي لمفهوم الجماعة ما رواه ابْنَ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[(3)]

يفيد التحديد اللغوي والاصطلاح الشرعي لمفهوم «الجماعة»؛ مقابلة التفرق والتنازع، إلى الاجتماع والانتظام ضمن جماعة موحدة في أصولها ومعتقدها، ذلكما أكدته مجموع النصوص الشرعية من الآيات، والأحاديث الواردة في الحثّ على الاعتصام و ملازمة الجماعة، والنهي عن الفُرقة والاختلاف. الشيء الذي تؤكده الآيات التي اقترن

---

(1)ابن تيمية، "**مجموع الفتاوى**"،جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط، دار الرحمة، القاهرة ج.3 ص157.

(2)أبو اسحاق الشاطبي، "**الاعْتِصَام**"، تحقيق ودراسة، محمد الشقير، وسعد آل حميد، وهشام الصيني، الناشر، دار ابن الجوزي، –المملكة العربية السعودية–، ط.1، سنة، 1429هـ – 2008م، ج.3، ص 209 – 210 – 211.

(3)صحيح البخاري، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا» رقم 7054

فيها الإيمان بالعمل الصالح، و«الجماعة» التي تقصدها تلك النصوص «جماعة المؤمنين» عامة فيندرج ضمنها كل مؤمن، هذه المعنى يَكْشفُ عن مركزية «الجماعة» في الخطاب الإسلامي، ويبين من جهة ثانية أن الصلاح الذي يقصده القرآن شأن تقوم به الجماعة وليس الفرد لوحده، من هنا الترابط الوثيق بين «العمل الصالح» الذي دعت إليه الآيات ، و«جماعة المؤمنين»، التي تقوم بالصلاح بمقتضى «الإيمان» الذي يحملها على ذلك.

ب. الجزاء والثواب

كثيرة هي المواطن التي اقترن فيها العمل الصالح بموضوع الثواب والجزاء الذي ينتظر المؤمنين؛ منها قوله تعالى في سورة العنكوب﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[(1)]وهذه الأعمال تدل على أنها داخلة فيما هو المقصود من الإيمان لِأَنَّ تَكْفِيرَ السيئات والجزاء بِالْأَحْسَنِ مُعَلَّقٌ عَلَيْهَا وَهِيَ ثَمَرَةُ الْإِيمَانِ، يوضح الرازي هذا في تفسير بمثال الشجرة الذي بقوله: وَمِثَالُ هَذَا شَجَرَةٌ مُثْمِرَةٌ لَا شَكَّ فِي أَنَّ عُرُوقَهَا وَأَغْصَانَهَا مِنْهَا، وَالْمَاءُ الَّذِي يَجْرِي عَلَيْهَا وَالتُّرَابُ الَّذِي حَوَالَيْهَا غَيْرُ دَاخِلٍ فِيهَا لَكِنَّ الثَّمَرَةَ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِذَلِكَ الْمَاءِ وَالتُّرَابِ الْخَارِجِ فَكَذَلِكَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ مَعَ الْإِيمَانِ وَأَيْضًا الشَّجَرَةُ لَوِ احْتَفَّتْ بِهَا الْحَشَائِشُ الْمُفْسِدَةُ وَالْأَشْوَاكُ الْمُضِرَّةُ يَنْقُصُ ثَمَرَةَ الشَّجَرَةِ وَإِنْ غَلَبَتْهَا عُدِمَتِ الثَّمَرَةُ بِالْكُلِّيَّةِ وَفَسَدَتْ فَكَذَلِكَ الذُّنُوبُ تَفْعَلُ بِالْإِيمَانِ."[(2)]

وهو نفس المعاني الواردة في قوله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ**﴾.[(3)] وكذلك ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ**

---

(1)العنكبوت الآية 6.

(2)الرازي، "**مفاتيح الغيب**"، 25/ 29

(3)سورة العنكبوت / 7 – 14، تجد نفس المعنى في سورة آل عمران / 53 - 61 سورة النساء / 52 - 59 سورة النساء/ 122 - 127 سورة النساء / 171 - 175 سورة المائدة / 6 - 9 سورة يونس / 1 - 6 سورة هود / 6 - 12 سورة الرعد/ 29 - 34 سورة إبراهيم / 19 - 24 سورة الكهف / 28 - 34 سورة

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(1)

فيكون الارتباط بين الإيمان والجزاء والثواب نتيجة منطقية للإيمان، أي أن المؤمن ينتظر أجر إيمانه وهذا الأجر هو المحفز الذي يجعل الإنسان يقتنع اقتناعاً بحقيقة الإيمان. فيكون المقصود شدة ارتباط المؤمنين بالله ودوره في الحياة. بهذا يكون للمؤمن ما يجعله يسارع إلى العمل، وفيه إشارة إلى أن تحفيز أفراد المجتمع للقيام بأعمال مهم ضروري حتى تكون النتائج والأعمال جيدة.

ج. الاستخلاف في الأرض

ورد هذا في قوله تعالى **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾**.(2) وجاءت إشارات أخرى لتدل على نفس المضمون من خلال نفي المساواة بين المفسدين والمؤمنين؛ ودلالة ذلك أن الإيمان يحمل الإنسان العامل والجاد لينظر ابتداء إلى مستقبل عمله ومصيره، لذلك حفلت معظم الآيات التي اقترن فيها الحديث عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالحديث عن النجاة في الآخرة والجزاء والثواب الذي يناله المؤمنون العاملون للصالحات، وهو جزاء مختلف عن الوعد الإلهي بالنجاة، إنما يزيد الله هذا الصنف طمأنينة إلى نوعية الأجر وأحوال الذين آمنوا وعملوا الصالحات يوم القيامة، فإضافة إلى ما اقترن من الحديث عن الجنة للذين آمنوا وعملوا

الكهف / 98 ـ 110 سورة مريم / 96 ـ 98، سورة طه / 1 ـ 12 سورة الحج / 6 ـ 15 سورة الحج / 16 ـ 23 سورة الحج / 47 ـ 55 سورة الحج / 56 ـ 64 سورة العنكبوت / 53 ـ 63 سورة الروم / 6 ـ 15 سورة لقمان/ 1 ـ 11 سورة السجدة / 12 ـ 20 سورة فاطر / 4 ـ 11 سورة فصلت / 1 ـ 11 سورة الشورى / 16 ـ 22 سورة الجاثية / 23 ـ 32 سورة الفتح / 29، سورة الحجرات / 1 ـ 4 سورة المطففين / 35 ـ 36

(1)البقرة /24 .

(2)النور / 53.

الصالحات (تكرر في 23 آية) تكرر مع هذه الآيات الوعد بالخلود والبشارة[1] وتكفير الذنوب وتوفية الأجر[2] وعدم الخوف، ومضاعفة، الجزاء الذي وصف بأنه كبير وغير ممنون ومن فضل الله.[3]

د. القول والعمل

نجد إشارة قوية في سورة الشعراء توضح المقصد القرآني من الإيمان الذي يجمع بين القول والفعل، ذُكر ذلك في سياق الحديث عن فئة الشعراء؛ ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ**﴾[4]

فيكون بذلك العمل الذي يقصده القرآن ويحفز المؤمن إليه العمل الذي ينتج أفعالاً وأعمالاً في الواقع، ويوافق سريرة الإنسان ويجمع بين الفعل والقول.

وهناك جملة إشارات أخرى لعلاقة الإيمان بالعمل الصالح؛ ففي سورة العصر ربط بين الفلاح والإيمان والعمل الصالح والصبر على أدائهما ﴿**وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾.[5] يقول الطبري في تفسيره لهذه السورة «إلَّا الذين صدّقوا الله ووحَّدوه، وأقرّوا له بالوحدانية والطاعة، وعملوا الصالحات، وأدّوا ما لزمهم من فرائضه، واجتنبوا ما نهاهم عنه من معاصيه، واستثنى الذين آمنوا من الإنسان، لأن الإنسان بمعنى الجمع، لا بمعنى

(1)البقرة الآية 25.

(2)سورة العنكبوت الآية 7.

(3)عبد الرحمن حللي، "اقتران الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم ودلالاته الحضارية"، م. سابق، ص 455.

(4)الشعراء / 214 – 226.

(5)العصر / 1 – 3.

الواحد.)[1]وعلق الطاهر بن عاشور (1393هـ)عليها موضحاً دخول الصبر بين الإيمان والعمل بقوله «وأنت إذا تأملت وجدت أصل التدين والإيمان من ضروب الصبر فإن فيه مخالفة النفس هواها ومألوفها في التصديق بما هو مغيب عن الحس الذي اعتادته، وبوجوب طاعتها واحدا من جنسها لا تراه يفوقها في الخلقة وفي مخالفة عادة آبائها وأقوامها من الديانات السابقة. فإذا صار الصبر خلقا لصاحبه هون عليه مخالفة ذلك كله لأجل الحق والبرهان فظهر وجه الأمر بالاستعانة على الإيمان وما يتفرع عنه بالصبر فإنه خلق يفتح أبواب النفوس لقبول ما أمروا به من ذلك.»[2] لهذا جاءت الدعوة إلى أداء الصلاة مقرونة بالصبر في مواطن من القرآن الكريم منها قوله Y﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ.**﴾[3] وقوله Y﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾.[4]

خاتمة

إن ما تقدمه الأديان الكتابية من نصوص، تحث على العمل الصالح والإيمان، يضعنا أمام جوهر الخطاب الديني للأديان الكتابية، المتمثل في إصلاح الواقع الاجتماعي للإنسان، وقد تبين أن اقتران الإيمان بالعمل الصالح في الخطاب القرآني يعطي جملة إشارات دالة على السلوك الذي ينبغي للمؤمنين أن يتصفوا به، وكل الدلالات التي جاءت بها صيغ (الذين أمنوا) و (عملوا الصالحات) تؤكد أن القرآن جاء إلى الإنسان من أجل إصلاح مجتمعه وفق منظور جديد يتصالح فيه الإنسان مع الإنسان، واقع يرسم منهجاً يجمع بين خطاب الآخرة (الجنة والنار، البعث والجزاء...) والإيمان بالعمل وضرورته لقيام حضارة إنسانية؛ هذه الثنائية غير حاضرة بنفس الكيفية في العهد القديم والنصوص

(1)الطبري، "**جامع البيان في تأويل القرآن**"، 24/ 590

(2)الطاهر بن عاشور "**تحرير والتنوير**"، الدار التونسية للنشر – تونس–، سنة 1984م، ج.1، ص 478.

(3)البقرة /152

(4)البقرة / 44 – 45.

اليهودية؛ وإنما تتجه إلى .. لأنها مثقلة بالمعطى الثقافي والسياق التاريخي الذي أنتج النص، هذا لا يلغي الاهمتام بالعمل الصالح في الخطاب اليهودي، فأعمال الصدقة التي تؤكد عليها النصوص التوراتية تكشف عن أصالة النص وسعيه إلى خلق مجتمع متضامن متساوٍ، والديانة المسيحية ليست بعيداً عن هذ المعطى، بل إن نصوصها تعطى مساحة أكبر لفعل الخير والإحسان في علاقته بالإيمان، من خلال «أعمال الكرازة» و«الخدمة الاجتماعية» اللتان عبرت عنهما أعمال الكنائس المسيحية بمختلف توجاهاتها الكنسية، وبغض النظر عن النقاش العقدي الذي ينبثق عن النصوص في تناولها لموضوع الإيمان؛ فإنه من خلال مدارسة موضوع الإيمان واقترانه بالعمل الصالح والاحسان وأفعال الخير عموماً، يقدم لنا منهجاً في محاولة للنظر في النصوص بخلفية تاريخية تفصح عن حضور المعطى الثقافي والاجتماعي فيها، وتكشف كذلك تفاعل الديني والتاريخي.

مراجع البحث:

أولا: العربية

- ابن تيمية، "**مجموع الفتاوى**"،جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط، دار الرحمة، القاهرة.
- أبو اسحاق الشاطبي، "**الاعْتِصَام**"، تحقيق ودراسة، محمد الشقير، وسعد آل حميد، وهشام الصيني، الناشر، دار ابن الجوزي، –المملكة العربية السعودية– ، ط.1، سنة، 1429هـ - 2008م.
- أشرف منصور، "**الرمز والوعي الجمعي دراسات في سوسيولوجيا الأديان**"، ط. الأولى 2010م، رؤية للنشر والتوزيع – القاهرة–
- الجرجاني، "**التعريفات**" تحقيق عبد المنعم الخفنى، دار الرشاد، – القاهرة–
- الخوري بولس، "**مفهوم الدين: المفاهيم عند المسيحيين المفاهيم الفلسفية واللاهوتية في المجادلة بين المسيحيين والمسلمين من القرن الثامن حتى القرن الثاني عشر**"، المكتبة البولسية، جونية –لبنان ، 2004م، ط. 1

- دارن شِرْكات وآخرون، "**السّوق الدينية في الغرب**"، ترجمة عزالدين عناية، دار صفحات، دمشق، 2012،
- دافيد فيرجسون، "**حوار الإيمان ومنتقديه**"، ترجمة، منير العلي، دار الفارابي، بيروت –لبنان–، ط1، كانون الثاني 2014م
- ديورانت ول، "**قصة الحضارة**" (ترجمة) محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر –القاهرة–، بدون رقم الطبعة ولا سنة النشر
- راتسنجر، ج. "**مدخل إلى الإيمان المسيحي**"، ترجمة الدكتور، نبيل الخوري، سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم، منشورات المكتبة البولسية –بيروت– . سنة 1994م، ط1
- الراغب الأصفهاني، "**المفردات في غريب القرآن الكريم**"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص **181**
- الشهرستاني، "**الملل والنحل**" تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت – لبنان–، 1402هـ/1982م
- الطاهر بن عاشور "**تحرير والتنوير**"، الدار التونسية للنشر – تونس–، سنة 1984م.
- عائشة عبد الرحمن، "**القرآن وقضايا الإنسان**"، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان–، ط4، كانون الثاني1981م
- عبد الحليم فضل الله، "**دور الدين في تكوين النظام المجتمعي**"، ضمن أعمال ندوة "الإسلام والمسيحية بحوث في نظام القيم المعاصر"، دار الهادي، بيروت –لبنان–، ط1، سنة 1424هـ/2003م.
- عبد الله دراز "**الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**"، دار القلم، كويت، ط. **2**، **1428**هـ/**2008**م

- عز الدين عناية، "**الأديان الإبراهيمية قضايا الراهن**"، دار توبقال، البيضاء –المغرب–، ط1 سنة 2014م
- علي سامي النشار، "**نشأة الدين النظريات التطورية والمؤلهة**"، دار السلام، –القاهرة –، سنة 2008م، ط1، 1430هـ/2009م

- علي سامي النشار، "**نشأة الدين النظريات التطورية والمؤلهة**"، دار السلام، –القاهرة –، سنة 2008م، ط1، 1430هـ/2009م

- فراس السواح " **دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدفع الديني** " منشورات دار علاء الدين، ط.1 دمشق.
- فرنسوا لابلانتين، "**مفاتيح الأنثربولوجيا**"، ترجمة حنفاوي عمايريّه، سلسلة علوم إنسانية، مركز النشر الجامعي، 2000م، تونس، بدون رقم ط.
- كريستوفر ج. رايت، "**أخلاقيات العهد القديم لشعب الله**"، ترجمة فينيس نقولا، دار الثقافة –القاهرة–، ط1، 2011م
- ماكس فيبر في كتابه "**الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية**"، ترجمة محمد مقلد، مركز الانماء القومي، لبنان –بيروت–
- محمد التهانوي، "**كَشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**"، تحقيق علي دحروج، سلسلة موسوعات المصطلحات العربية والإسلامية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996م، بيروت لبنان
- مرسيا إليا، "**المقدس والعادي**"، ترجمة: عادل العوا، دار التنوير– بيروت– ،سنة 2009م.
- مرسيا الياد، "**أسطورة العود الأبدي**"، ترجمه عن الفرنسية نهاد خياط، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، – دمشق–، الطبعة الأولى 1987م،
- مشير باسيل عون، "**محنة الإيمان**"، دار المشرق –بيروت–، ط1، 2005م.

- **موسوعة الأديان في العالم – المسيحية**" دار كريبس انترناشيونال 2001/2000م.
- ميرتشيا إلياده، "**البحثُ عن التاريخ والمعنى في الدين**"، ترجمة سعود المولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت –لبنان–، ط. 1، كانون الأول (ديسمبر) 2007م

الأجنبية

- Bergson Henri, «**Les DEUX Sources de la Morale Et De La Religion**», Aout 1993, Paris
- Emile Durkheim, **The Elementary Forms of Religous Life**,
- Henri Bergson, «**Les DEUX Sources de la Morale Et De La Religion**», Aout 1993, Paris**.**
- Radcliff G, B. 1952, Structure and Function in Primitive Society, London. 1950, P :106 .Frued, S: 1922, Group psychology and Analysis of the Ego. London, Hogarth.
- Thom Sicking S .j, "**Foi Chrétienne et inculturation au Proche-Orient**" , Université Saint-Joseph, Jeita,Beyrouth, 1992